السلالم الحجاجية في كتاب البرهان في وجوه البيان ابن وهب الكاتب

الكلمات المفتاحية: السلالم الحجاجية، كتاب البرهان، ابن وهب

البحث مستل من رسالة ماجستير

وسن حسن هادي **أ.د. فاضل عبود التميمي**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية

wasanhasan44@gmail.com fadilaltamimi@yahoo.com

الملخص

يأتي البحث بعنوان ((السلالم الحجاجية في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب)) للحديث عن دراسة ابن وهب للسلالم الحجاجية في كتابه (البرهان) بوصفها وسيلة ناجعة للإقناع، والرد على الخصوم، فقد قسمت دراستي على عنوانين رئيسين هما السلالم الحجاجية، وآليات الحجاج، وقدمت الدراسة نمطًا عقلانيًا للدراسة المنطقية المعتمدة على إيراد الحجة، ودفع الشك، والتوهم بطريقة متدرجة متسلسلة مع عقلية المتلقي، ودرجته من الفهم، والإدراك حتى يحيله المؤلف إلى القناعة، والتصديق بما ذهب إليه الأول، والله الموفق.

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان بالقلم والحجة والبرهان والصّلاة والسّلام على خير ولد عدنان وعلى آله وصحبه السابقين بالجنان وبعد

فقد جاء بحثي الموسوم ب ((السلالم الحجاجية في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب)) للحديث عن الأثر الفاعل الذي يؤديه السلم الحجاجي في بيان الفكرة، وقيام الرد الدامغ على الخصوم، والجهال كما صرح بذلك ابن وهب في كتابه البرهان، وانسجاما مع موضوع البحث فقد جاءت محاوره للحديث عن مفهوم السلالم الحجاجية، وآليات الحجاج. وكان البحث في معالجته الموضوع جامعا بين الوصف، والإجراء، وقد اعتمدت في جمع مادتي على جملة من المصادر، والمراجع التي كان من ابرزها: اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، والبعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: قدري عمران، وأسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي: د. مثنى كاظم صادق، ومن الله التوفيق.

السلالم الحجاجية

تقوم فكرة هذا المبحث على تصور مبني على تدرج الحجج في الحجاج، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية وصولًا إلى النتيجة المتوخاة من المرسل، وَأَنَّ هذه الحجج تدعم النتيجة التي ينقاد إليها المتلقي بوساطة متابعة هذه الحجج في الحجاج والمجادلة، وما ستؤول إليه؛ فالسُّلم الحجاجي ((هو علاقة ترتيبيَّة للحجج، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبيَّة معينة فإِنَّ هذه الحجج تنتمي؛ إذ ذاك إلى نفس السُّلم الحجاجي))[١]، فالسلم الحجاجي يقوم على علاقة تراتبيَّة للحجج يمكن أَنْ نرمز لها بالمخطط الآتي:

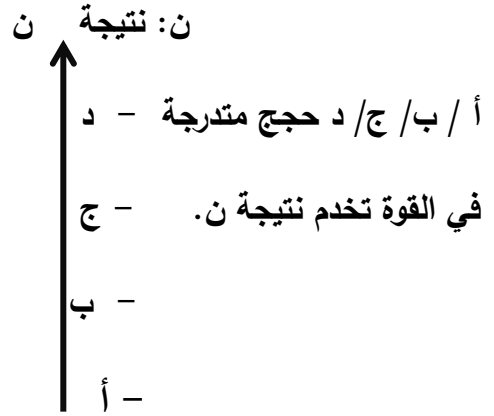

وهذه الحجج تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية معينة؛ لذا فهي تشكل سلمًا حجاجيًا موجهًا نحو ما يريد المخاطب الوصول إليه[٢]، وتخرج السلالم الحجاجية إلى فضاء أكبر من فضائه اللغوي؛ لأَنَّهُ لا يخضع لشروط الصدق، والكذب، بل يتكئ على جودة التدرج، وأن هذا التدرج في ترتيب الحجج غالبًا ما يظهر مواقف المرسل، واتجاهه عبر الملفوظات النصية؛ وبالنتيجة ترتب هذه الحجج بناءً على تنظيم الأقوال التي تسبق النتيجة، ويشير ديكرو إلى أَنَّ ثمة تلازم بين الحجج المتدرجة، وبين النتيجة التي تتمخض عنها؛ لأَنَّ الحجة في السلم الحجاجي لا تكون حجة إلَّا إذا أفضت إلى نتيجة، والنتيجة قد يصرح بها في الخطاب، أو نستشف منها ضمنيًا[٣]. يتبيّن مِمَّا سبق أَنَّ الخطاب الحجاجي يعتمد على قيم الإثبات، والنفي بدلًا مِمَّا يعتمد على الصدق، والكذب؛ لأَنَّ الخطاب الحجاجي غايته القوة، والضعف إزاء قضية ما[٤].

وقد صاغ ديكرو ثلاثة قوانين في ضمن كتاباته حول السلم الحجاجي، وَعَدَّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم وهي:

١. **قانون تبديل السلم (النفي):** هذا القانون يقتضي أَنَّهُ إذا كان القول دليلًا على مدلول معين؛ فإنَّ نقيضه دليل على نقيض مدلوله؛ أي بمعنى أَنَّنا لو استعملنا الملفوظ (ب) للدلالة على مدلول ما، فإن نفيه (ليس ب) سيكون دليلًا على ضد المدلول؛ أي إذا كانت (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ج)، فإن (ليس ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ليس ج)[٥].

٢. **قانون الخفض:** ويقتضي هذا القانون أنَّه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها، وأَنَّ التراتب بين الحجج يمكن أَنْ يتغير، أو يعدل من زيادة، أو نقصان من لحظة إلى أخرى، وذلك بحسب تداخل عوامل معينة، وبحسب المدلول، وقوته، ويمكن أَنْ يتغير الموقف من حجة معينة تُعدُّ صادقة بعد أَنْ كانت كاذبة، والعكس صحيح[٦].

٣. **قانون القلب:** ويرتبط هذا القانون بالنفي أيضًا، ومضمونه أَنَّهُ ((إذا كان أحد الملفوظات (أ) أقوى من (ب) في السلم الحجاجي؛ فإنَّ نقيض (أ) أقوى في التراتبية أيضًا من نقيض (ب)؛ وهذا ما يفسر لنا الإطناب الذي قد يستشعره المُخاطب عندما يطرح المتكلم جملة (ما) كون الحجة المقدمة في الملفوظ الثاني متضمنة أصلًا في الملفوظ الأول؛ أي إنَّها تخرق تراتبية الحجج في السلم الحجاجي))[٧]، ونلاحظ أَنَّ ((السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية))[٨]، وللتوضيح نقول:

- حصل زيد على كلية الطب، ثمَّ الدكتوراه في الطب.
- لم يحصل زيد على كلية الطب، ولم يحصل على الدكتوراه فيها.

فحصول زيد على الدكتوراه دليل قوي على مثابرته العلمية، في حين عدم حصوله على كلية الطب في المثال المنفي حجة قوية على عدم مثابرته العلمية[٩]، وعليه يجب على المرسل، أو القائم بالاتصال استعمال السلم الحجاجي؛ لتعديل سلوك المتلقي، أو استمالته إلى النتيجة عبر البناء الحجاجي للسلم؛ لأَنَّ النتيجة فيه لا يمكن الوصول إليها إلَّا بوساطة

الارتقاء عبر هذا السلم في ضمن فئة حجاجية واحدة غير مشتتة، ومن الجدير بالذكر أَنْ نشير إلى أَنَّ لديكرو الفضل في وضع السلم الحجاجي، والتنظير لَهُ؛ لكنَّنا لا نعدم وجوده عند اللغويين، والفلاسفة قبله، وقد عرف المسلمون تصانيف سلمية قائمة على التدرج، مثل تصنيف الأحكام الشرعية؛ إذ رتبوا الواجب، والحرام، والمكروه، والحلال في طرفي السلم تتوسطهما درجتا المندوب، والمكروه، وبينهما المباح، والمطلق(١٠).

وغالبًا ما تكون الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيأةً للمتلقي، ومحفزه لذهنه للمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها؛ لاستمالته، ولعل اتجاه التدرج باتجاه واحد في ضمن فئة حجاجية واحدة، هو الذي يقود إلى النتيجة، وهذا يرجع إلى التراتبية في عرض الحجج ضمن آليات لغوية يعتمدها المرسل في خطابه مع المتلقي، وأَنَّ النص القرآني خبير بخطاب المتلقي؛ إذ يصرفه بمقدار، ويوزعه بأشكال، ولاسِيَّمَا أَنَّ الحجج تأتي متدرجة تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، حتّى لو كان النص يحمل سلمين متعاكسين، على وفق قانون الخفض، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾(١١)؛ أي أَنَّ رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليس بشاعر؛ لأنَّ الشعراء يتبعهم الغاوون لتأسيس صناعتهم على الغواية، وخلاف الرشد؛ ولكن الذين يتبعون الرسول ابتغاء للرشد، وإصابة الواقع، وطلبًا للحق، وقوله: يهيمون من هام يهيم إذا ذهب على وجهه، والمراد انهم يهيمون على وجوههم في كُلّ واد استرسالهم في القول من غير أَنْ يقفوا على حدّ؛ فربّما مدحوا الباطل المذموم كما يمدح الحق المحمود، وربّما دعوا إلى الباطل، وصرفوا عن الحق، وقوله (ما لا يفعلون) من العدول عن صراط الفطرة(١٢)، فهذه الآيات خاصة بالشعراء الذين كانوا يهجون الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأشعارهم، ويمكن التمثيل لهذا السلم بالآتي:

النتيجة: الغواية

- **أنَّهم يقولون ما لا يفعلون**
- **أنَّهم في كُلّ وادٍ يهيمون**
- **الشعراء يتبعهم الغاوون**

أما السلم المختص بالمؤمنين الذين يعملون الصالحات وينصرون الرسول بأشعارهم، ولا يمتلئ جوفهم بالشعر فقط، وإنَّما يكون فيه موضع للذكر، ولحفظ القرآن، ولعلم الشرائع، والأحكام، والسُنة في الحلال، والحرام، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[١٣]؛ أي استثناء من الشعراء المذمومين، والمستثنين هم شعراء المؤمنين؛ فإنَّ الإيمان، وصالحات الأعمال تردع الإنسان بالطبع عن ترك الحق، وإتباع الباطل، ثمَّ الذكر الكثير لله سبحانه[١٤]، ويمكن أَنْ نمثل هذا السلم على النحو الآتي:

النتيجة: المؤمنون (الجنة)

- **انتصروا من بعد ما ظُلموا**
- **ذكروا الله كثيرًا**
- **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

وقد ذكر ابن وهب ما روي في شأن امرئ القيس في أنَّهُ حامل لواء الشعراء إلى النار أنَّه خاص في كفار الشعراء، والدليل على ذلك إجماع الأمة على أنّ حسّان بن ثابت، وكعب بن زهير، وغيرهما من شعراء المؤمنين الذين كانوا يناضلون عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأشعارهم، ويجاهدون معه بألسنتهم، وأيديهم خارجون عن جملة من يرد النار مع امرئ القيس[١٥]، وهذا الاستدلال الذي اعتمده ابن وهب منطقي يستند إلى البرهان فقد تدرج في الحجج بذكره الكفار، والمؤمنين.

وقد ذكر ابن وهب الكاتب إجماع العلماء، وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته، وبيّن عن حقه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه، وقصر عن القيام بحجته، ووصف الله – عَزَّ وَجَلَّ – قريشًا بالبلاغة في الحجة، واللَّدد في الخصومة[١٦]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[١٧]، القول موجه من الله – سبحانه – إلى رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، بقوله جل ثناؤه: ومن النَّاس من يعجبك يا محمد ظاهر قوله، وعلانيته، ويستشهد الله

على ما في قلبه، وهو الد الخصام؛ أي حجاج بالباطل، وقال بعضهم نزلت في الأخنس بن شريق، الذي قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ فزعم أَنَّهُ يريد الإسلام، وحلف أَنَّهُ ما قدم إِلَّا لذلك، ثمَّ خرج فأفسد أموالًا من أموال المسلمين، فقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي ما يظهر بلسانه من الإسلام، وقوله: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾؛ أي من النفاق، وقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾؛ أي ذو جدال إذا كلمك[١٨]، فهو يقنع المقابل بأَنَّهُ يظهر الإسلام ويؤمن به؛ ولكن الذي في قلبه هو النفاق، وعدم الإيمان، ويمكن التمثيل لهذا السلم بالآتي:

النتيجة: النفاق

- **وهو الدُّ الخصام**
- **ويشهد الله على ما في قلبه**
- **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا**

ويظهر السلم الحجاجي في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[١٩]، وعلى النحو الآتي:

النتيجة: الشكر

- **جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**
- **لا تعلمون شيئًا**
- **أخرجكم من بطون أمهاتكم**

أي إِنَّ الله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئًا، ولا تعلمون فرزقكم عقولًا تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشر، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات؛ فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص، فتتعارفون بها، وتميزون بها بعضا من بعض، والأفئدة: هي القلوب التي تعرفون بها الأشياء، فتحفظونها، وتفكرون، فتفقهون بها، فاشكروا الله على ما

أنعم به عليكم من ذلك، وقيل وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ لأَنَّ الله تعالى جعل لعباده السمع، والأبصار، والأفئدة قبل أَنْ يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنَّما أعطاهم العلم، والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم[٢٠]، وقد بيّن ابن وهب أَنَّ الله تعالى جعل العقل الموهوب في جبلة خلقه، وقد فضل الله – عَزَّ وَجَلَّ – في هذه الموهبة بعض خلقه على بعض على مقدار علمه فيهم، كما فضل بعضهم على بعض في سائر أخلاقهم، وأفعالهم[٢١]، فيبدو واضحًا أَنَّ الاستدلال الذي اعتمده ابن وهب يستند إلى أدلة عقلية منطقية.

وقد ذكر ابن وهب أَنَّ مراتب القول، ومراتب المستمعين له، فهو حسن التلطف فيه، والإتيان به على تقدير لسامعه؛ فإنَّ مجالس السلطان مخالفة لمجالس الرعية، ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهال، ومجالس الجد مخالفة لمجالس الهزل، فحق العاقل أَنْ يعظم مجالس السلطان، والعلماء، فلا يأتي فيهما بشيء من الهزل، ولا اللهو، إلَّا أَنْ يشاء السلطان ذلك منه، ولا يملي لنفسه مع ذلك في الاسترسال، والجري على عادة النفس في الإهمال، وَأَنْ يكون في مجلس السلطان بين ثلاثة أحوال، إمَّا أَنْ يكون مُنصتًا، أو معظمًا لحقه عن الابتداء بالكلام في مجلسه، أو مُجيبًا عَمَّا يسأل عنه من غير دخول في جواب مسألة لغيره، فالتوقير للرؤساء، والأئمة[٢٢]، مِمَّا قد أمر الله – سبحانه – به؛ إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[٢٣]؛ أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهمونه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب، وقوله: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾؛ أي لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضًا، ولا تنادوه نداء، ولكن قولا لينا (يا رسول الله)؛ إذ نهاهم الله أَنْ ينادوه كما ينادي بعضهم بعضًا، وأمرهم أَنْ يشرفوه، ويعظموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة، وقوله: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾؛ أي أن لا تحبط أعمالكم، فتذهب باطلة لا ثواب، ولا جزاء لكم عليها، وأنتم لا تعلمون[٢٤]، ويمكن التمثيل بالسلم الآتي:

النتيجة: العقاب

– تحبط أعمالكم وأنتم لا تعلمون

– ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض

- يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ

أَمَّا السلم المختص بأصحاب التقوى، فهو ذو حيز يحيط بما سيأتي من حجج متدرجة في السلم، وتعد هذه الحجج وسائل فاعلّة لحث المتلقي على تقوى الله، وتعظيم رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[٢٥]،ويمكن أَنْ نمثل هذا السلم على الآتي:

النتيجة: المغفرة

- لهم مغفرة وأجر عظيم

- أولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى

- إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله

معنى قوله تعالى: أَنَّ على المسلمين أن يخفضون أصواتهم عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إجلالًا له، وتعظيمًا، وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ)، أي اختبرها، وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه؛ أي أذهب عن قلوبهم الشهوات، وهو الإخلاص، أولئك لهم مغفرة، وأجر عظيم[٢٦].

ويظهر السلم الحجاجي في قول رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإِنْ لم يستطع فبلسانه، فإِنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[٢٧]، بحسب الآتي:

النتيجة: الإيمان

- وذلك أضعف الإيمان

- فإن لم يستطع فبقلبه

- فإن لم يستطع فبلسانه

- من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده

بدأ السلم بذكر المنكر؛ أي كُلّ منكر يجب تغييره بغض النظر عن نوع ذلك المنكر؛ فقوله: (من رأى) يحتمل أَنْ يكون المراد رؤية البصر، أو المراد رؤية القلب، (منكم)؛ أي معشر المسلمين المكلفين القادرين، (منكرًا)؛ أي شيئًا حرمه الشرع فعلًا، أو قولًا، ولو صغيرًا، (فليغيره)؛ إذ جاء في الكتاب، والسُنّة وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو أيضًا من النصيحة التي هي من الدِّين، (بيده)؛ لأنَّها أبلغ في تغييره، كإراقة الخمر، وكسر آلة لهو، ورد المغصوب إلى مالكه، (فإنْ لم يستطع) الإنكار بيده بأَنْ ظن لحوق ضرر به؛ لأَنَّ فاعله أقوى منهُ؛ فالواجب تغييره (بلسانه)؛ أي فليغيره بالقول، (فإنْ لم يستطع) ذلك بلسانه؛ لوجود مانع، كخوف فتنة، أو خوف على نفس، أو شهر سلاح، (فبقلبه) ينكره وجوبًا، بأَنْ يكرهه، ولا يرضى به، ويعزم أَنَّهُ لو قدر على تغييره بفعل، أو قول، لفعل، (وذلك أضعف الإيمان)؛ أي إنَّ كونه لا يستطيع أَنْ يغيره إلَّا بقلبه هو أضعف الإيمان[٢٨]، وقد بيّن ابن وهب أَنَّ المنفعة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بيِّنة ظاهرة؛ لأنَّ الله – عَزَّ وَجَلَّ – لما خلق الخلق باعدَ بين هممهم، وخالف بين عقولهم، وكان أكثرُهم إلى الفساد سراعًا، وليس للفساد خُلقوا، ولا لما خالف الصلاح جعلوا أمر الله – عَزَّ وَجَلَّ – الأنبياء بتأديبهم، وأمرهم بحثِّهم، والأخذ على أيدي سفهائهم؛ فجعل الأمر، والنهي باللسان لذوي العقول، والأبصار، وجعل السوط لمن لا ينفعه الزجر من مرتكبي الفجور، ومن شرّاب الخمور، وجعل السيف لمن لا يقنع في تأديبه بالسوط من البغاة، والمتقاتلين، وكُلّ ذلك هو أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر[٢٩]. أي يجب تغيير المنكر بكُلّ طريق ممكن، فلا يكفي الوعظ لمن يمكنه إزالته بيده، ولا بالقلب لمن يمكنه باللسان.

ويظهر السلم الحجاجي في قول أمير المؤمنين – عليه السلام –: ((من أكثر من شيء عرف به، ومن كَثُر ضحكه قلَّت هيبته، ومن مزح اُستخف به))[٣٠]، وبحسب الآتي:

النتيجة: عدم الإفراط في الهزل

- **ومن مزح اُستخف به**
- **ومن كَثُر ضحكه قلَّت هيبته**
- **من أكثر من شيء عرف به**

بدأ السلم بذكر الكثرة، فمن يكثر ضحكه تقلَّ هيبته، ومن كثر مزحه يُستخف به، فالمُزاح فيه طمأنينة، وفيه انبساط، وطيب قلب فلم يُنهى عنه، وإنَّما المنهي عنه الإفراط فيه، أو المداومة عليه، أما المداومة، فلأنَّه اشتغال باللعب، والهزل فيه، واللعب مباح؛ ولكن المواظبة عليه مذمومة، وَأَمَّا الإفراط فيه فإنَّه يورث كُثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة، والوقار، فما يخلو من هذه الأمور؛ فلا يُذم[٣١]، وقد ذكر ابن وهب أَنَّ الهزل، هو ما صدر عن الهوى، والنَّاس في استعماله على ضربين: أما الحكماء، والعقلاء، فاستعملوه في أوقات كلال أذهانهم، وتعب أفكارهم؛ ليستدعوا به نشاطهم، ويروحوا به عن قلوبهم خوفًا من ملالها، وكلالها، وَأَمَّا السفهاء، والجهال، فاستعملوه للخلاعة، والمجون، ومتابعة الهوى، وذلك المذموم الذي قد عاب الله – سبحانه – مستعمله، ومدح المُعرض عنه[٣٢]، بمعنى أي شخص يكثر من شيء يُغلب عليه، ويُعرف به، فالمزاح غير مكروه، ولكن الإفراط به مكروه؛ لأَنَّهُ يقلل من هيبة الشخص، ويبدو واضحًا أَنَّ ما قاله ابن وهب يتناسب مع قول الإمام علي (عليه السلام) بعدم الإفراط في الهزل.

فتكمن أهمية السلالم الحجاجية في جدال ابن وهب الكاتب في أَنَّها تمثل الجوهر الأساس في الحجاج، بل وتظهر متانة، وقوّة الحجة التي يتبناها إزاء قوة، ومتانة، وترتيب الأدلة، والبراهين والاستدلالات، فكلّما كان ترتيب الأدلة بطريقة محكمة كانت الحجة بالغة، ورصينة، وهذا الجانب الذي اعتمده ابن وهب في سلالمه الحجاجية، وتميز به عن غيره.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بحمده الأعمال الصالحات، والصلاة، والسلام على خير البريات محمَّد، وعلى اله وصحبه السابقين بالخيرات، والآن نذكر أهم النقاط التي تجلت لنا من خلال هذا البحث وعلى حسب الآتي:

أولًا: ظهر أثر التدرج في بيان الحُجج من الأضعف إلى الأقوى، ودوره الفاعل في الإقناع للمتلقي، وهذا التدرج يخاطب عقلية المتلقي حتى يحثه على قبول الفكرة.

ثانيًا: إن مبدأ الإثبات، والنفي يشير إلى ثنائية ضدية تخاطب عقل المتلقي من خلال بيان الحجة بوضوح، وظهور أكثر، وقديمًا قيل بضدها تتعرف الأشياء.

ثالثًا: إن مبدأ التدرج في بيان الحُجة يشير إشارة واضحة إلى فاعلية القبول لها من جهة أن المتلقي لا يمكنه أن يتقبل الفكرة مباشرة، ولا يمكن أن يظهر الناتج لتلك الفكرة ما لم ترد عليه الحجج القوية الدامغة التي تؤيدها فتأييد الفكرة أيضًا يكون على وفق ضابط من التدرج الذي يتدرج مع قناعة المتلقي.

رابعًا: إن فكرة الحجاج بطريق التدرج مع المتلقي، وقبوله للفكرة يؤدى بنمط لغوي يعتمد ذلك الإثبات، والنفي، ومبدأ آخر يشير به المتكلم إلى إقناع المتلقي بما يريد من حجة.

وأخيرًا فقد وفق ابن وهب الكاتب في إيضاح تلك الحجج عندما أظهر فاعلية التدرج وأثبت أن لها القدرة على قيام الحُجة النهائية، وإثبات النتيجة التي هي ثمرة ذلك الحِجاج، والتي تقوم بالنهاية على إثبات فكرة معينة بوضوح، ودلالة قوية لا تقبل الشك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Abstract

Stages of Argument in Ibn Wahab Al-Katib's Kitab Al-Burhan fi Wujoh Al-Bayan

Keywords: stages of argument, Kitab Alburhan, Ibn Wahab Alkatib

The paper is extracted from M.A. Thesis

.Prof

Wasan Hassan Hadi Fadhil Abboud Altamimi (Ph.D(.

University of Diyala

College of Education for Humanities

The paper is entitled "Stages of Argument in Ibn Wahab Al-Katib's Kitab Al-Burhan fi Wujoh Al-Bayan" to deal with Ibn Wahab's study of the stages of argument in his book AlBurhan as an effective means of persuasion, and response to opponents. The paper is divided into two main titles; stages of argument, and mechanisms of argument. Furthermore, the study provided a rational pattern of a logical study that is based on the inclusion of argument, deporting doubt and delusion in a sequential way in accordance with the mentality of the recipient, his/her extent of understanding, and cognition until the author fully drives him/her towards conviction, so as to believe what the first has stated.

الهوامش

(١) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: قدري عمران: ط: ١: عالم الكتب الحديث: إربد – الأردن: ٢٠١٢م: ٣٣.

(٢) ينظر: اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي: ٢٠: ٢١.

(٣) ينظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي: د. مثنى كاظم صادق: ١١٧: ١١٨.

(٤) ينظر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: د. عمارة ناصر: ط: ١: الدار العربية للعلوم ناشرون: منشورات الاختلاف: الجزائر: ٢٠٠٩م: ١٩٤.

(٥) ينظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي: د. مثنى كاظم صادق: ١١٨.

(٦) ينظر: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي: كمال الزماني: ط: ١: عالم الكتب الحديث: إربد – الأردن: ٢٠١٢م: ١٤٢.

(٧) التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام: ط: ١: دار كنوز المعرفة: عمان: ٢٠١٦م: ١٤٩.

(٨) اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي: ٢٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤.

(١٠) ينظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي: د. مثنى كاظم صادق: ١٢٠: ١٢١.

(١١) سورة الشعراء: الآيات: ٢٢٤: ٢٢٥: ٢٢٦.

(١٢) ينظر: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ج: ١٥: ٣٣١.

(١٣) سورة الشعراء: الآية: ٢٢٧.

(١٤) ينظر: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ج: ١٥: ٣٣١.

(١٥) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: ١٦٥.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٣.

(١٧) سورة البقرة: الآية: ٢٠٤.

(١٨) ينظر: تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري: ج: ٤: ٢٣٠.

(١٩) سورة النحل: الآية: ٧٨.

(٢٠) ينظر: تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري: ج: ١٧: ٢٦٦.

(٢١) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: ٥٦.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٠.

(٢٣) سورة الحجرات: الآية: ٢.

(٢٤) ينظر: تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري: ج: ٢٢: ٢٧٨.

(٢٥) سورة الحجرات: الآية: ٣.

(٢٦) ينظر: تفسير الخازن والبغوي: الخازن والبغوي: تحرير: الشيخ عبدالسلام شاهين: ج: ٥: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ١٩٩٥م: ٥١٨.

(٢٧) صحيح مُسلم: مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: ج: ١: ط: ١: دار إحياء الكتب العربية: ١٤١٢هـ – ١٩٩١م: ٦٩. و ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ج: ٣: ١٩٥٠.

(٢٨) ينظر: الأربعون الإداريَّة من الأربعين النّوويَّة: أ. د. سمير أسعد الشاعر: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ٢٠١٨م: ١٣٢.

(٢٩) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: ٢٧٥: ٢٧٦.

(٣٠) نُسب القول لعمر (رضي الله عنه) : مفاتيح الجنان في شرح شرعة الإسلام: محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زادة الحنفي: اعتنى به: أحمد هادي القصّار: ط: ١: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ١٤٣٢هـ – ٢٠٠٧م: ٤١٤. وأيضًا في: تفتيح القول الحثيث بشرح لُباب الحديث للإمام السّيُوطي: العلاّمة الشّيخ محمد بن عمر نووي الجاوي: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ٢٠١٥م: ١٣١: ١٣٢.

(٣١) ينظر: إحياء عُلوم الدِّين: الإمام الغزالي: ج: ٣: دار الفكر: بيروت – لبنان: ٢٠١٨م: ١٣٣.

(٣٢) ينظر: البرهان في وجوه البيان: ابن وهب الكاتب: ٢٤٧.

المصادر والمراجع:

القُرآن الكريم.

- إحياء عُلوم الدِّين: الإمام الغزالي: ج: ٣: دار الفكر: بيروت – لبنان: ٢٠١٨م.
- الأربعون الإداريَّة من الأربعين النّوويَّة: أ. د. سمير أسعد الشاعر: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ٢٠١٨م.
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية: د. مثنى كاظم صادق: دار الأمان: ط:١ : لبنان: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: تحقيق: د. أحمد مطلوب: ود. خديجة الحديثي: مطبعة العاني: ط١: بغداد: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: قدري عمران: ط: ١: عالم الكتب الحديث: إربد – الأردن: ٢٠١٢م.
- التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام: ط: ١: دار كنوز المعرفة: عمان: ٢٠١٦م.
- تفتيح القول الحثيث بشرح لُباب الحديث للإمام السّيُوطي: العلاّمة الشّيخ محمد بن عمر نووي الجاوي: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ٢٠١٥م.

- تفسير الخازن والبغوي: الخازن والبغوي: تحرير: الشيخ عبدالسلام شاهين: ج: ٥: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ١٩٩٥م.
- تفسير الطَّبريّ: محمد بن جرير الطَّبريّ: تحقيق: محمود محمد شاكر: وأحمد محمد شاكر: دار المعارف: ٢٠٠٨م.
- حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي: كمال الزماني: ط: ١: عالم الكتب الحديث: إربد – الأردن: ٢٠١٢م: ١٤٢.
- صحيح مُسلم: مُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: ج: ١: ط: ١: دار إحياء الكتب العربية: ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
- الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: د. عمارة ناصر: ط: ١: الدار العربية للعلوم ناشرون: منشورات الاختلاف: الجزائر: ٢٠٠٩م.
- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي: الدار البيضاء: ط:١ : ٢٠٠٦م.
- مفاتيح الجنان في شرح شرعة الإسلام: محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زادة الحنفي: اعتنى به: أحمد هادي القصّار: ط: ١: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ١٤٣٢هـ – ٢٠٠٧م: ٤١٤.
- ميزان الحكمة: محمد الريشهري: دار الحديث: ط١: ١٤١٦هـ.
- الميزان في تفسير القرآن: السيِّد الطباطبائي: مصادر التفسير عند الشيعة: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة: د. ت.